مكائد ومؤامرات

الغزو الفكري: وسائله وأساليبه

(٢-٢)

طارق أسعد بن أسعد أعظمي
جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية، حيدرآباد

وسائل الغزو الفكري:

١ – تشويه صورة الإسلام وعقائد المسلمين: إن رجال الغزو الفكري يعرفون جيدا أن الإسلام بتعاليمه وتوجيهاته يستطيع أن ينتشر في مشارق الأرض ومغاربها ويؤثر في قلوب الناس بمحاسنه ومزاياه، لذلك أخذوا يشوهون وجه الإسلام وعقائد المسلمين وتاريخهم القديم ويثيرون الشبهات حول تعاليم القرآن، ويلبسون الحق بالباطل، يقول الدكتور فاروق عمر فوزي: "لقد قام العديد من الباحثين في الشرق والغرب بوصف الصورة المشوهة التي خلفها بعض المستشرقين ابتداءً من فترة التبشير حتى العصر الحديث عن سيرة الرسول، وعن القرآن الكريم وعن الإسلام كعقيدة".[١]

وكذلك المستشرقون الذين قاموا بدراسة التراث الإسلامي، هجموا من وراء الستار على التراث الإسلامي وشوهوا وجهه، يقول الشيخ علي جريشة: "لا يكاد مجال من المجالات الإسلامية سلم من التشويه المتعمد من الحاقدين، أو التشبيه العفوي من الجاهلين، من المستشرقين ثم من تبعهم من تلاميذهم الحاقدين أو الجاهلين كذلك".[٢]

لذلك قد حذر الباحثون الاعتماد على كتب المستشرقين ومؤلفاتهم واعتبارها مراجع لأنهم قد دسوا فيها كثيرا من المغالطات والزخرفات والأباطيل والموضوعات، لا يمكن للقارئ أن يدركها إلا إذا كان متمكنا في علمه وخبرته، يقول الشيخ

---

[١] الاستشراق والتاريخ الإسلامي للدكتور فاروق عمر فوزي، ص: ٥٠.

[٢] الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: ١٩.

محمد شريف الزيبق: "لا ريب أن أخطر آثار الاستشراق هو اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجع أساسية في التاريخ واللغة، والسيرة، والفقه، والعقائد، وغير ذلك، وخاصة في الجامعات والمعاهد العالية أو في دراسات المبعوثين إلى الجامعات الغربية في أوربا وأمريكا، الذين يقعون دائما تحت سيطرة الاستشراق، والأساتذة اليهود والنصارى المتعصبين، ثم يعودون إلى بلادهم فيحتلون مناصب التوجيه الثقافي والتعليمي، ويفرضون ما تلقوه من الغرب من سموم باسم التجديد وحرمة البحث".[١]

٢ – التعليم: هذا المجال هو أخطر مجالات الحياة الاجتماعية، والسيطرة عليه سيطرة على مستقبل الأمة وتحكم دقيق في خطواتها على الطريق في كافة ألوان النشاط البشري. وما دخل الاستعمار بلداً إلا وكانت ضربته الأولى نحو سياسة التعليم ونظمه في هذا البلد.[٢]

يقول المبشر دانتي: "كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية في نفوس الطلاب".[٣]

ويقول المبشر زويمر: "المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون في التحلك بالمسلمين".[٤]

وكيف ابتليت الأمة بالغزو الفكري في مجال التعليم، يقول عنه الدكتور علي عبد الحليم محمود:

"فمن أبرز ثمرات هذا الإفساد للتعليم أن حدث الاختلاط بين البنين والبنات في معظم بلدان العالم الإسلامي، وترتب على الاختلاط ما ترتب من عيون ومآخذ وابتعاد

---

[١] أساليب الغزو الفكري للشيخ محمد شريف الزيبق، ص: ٢٦.

[٢] الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مقال الدكتور علي عبد الحليم محمود، ص: ١١٠.

[٣] الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مقال الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، ص: ٢١٦ – ٢١٧.

[٤] الغارة على العالم الإسلامي، ص: ١٠١.

عن منهج الإسلام في تنشئة البنين والبنات في ظروف تحفظ لهم حياءهم وكرامتهم الإنسانية وتصون أنوثة الأنثى ورجولة الرجل من الابتذال والامتهان".[١]

وأخيرا تكمل هذا كلمات المبشر زويمر، يقول: "لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية وانكم أعددتم نشأ في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام".[٢]

٣ – الإعلام: للإعلام في حياة الناس قوة هائلة، والبث الإذاعي – كما لا يخفى – عظيم الفعالية، واسع الانتشار، الأمر الذي جعل المنصرين يركزون على هذه الوسيلة في غزو قلوب الناس وعقولهم، فنراهم يبثون سمومهم عبر إذاعات الغرب التنصيرية بشتى لغات العالم ولهجاته المتباينة، على مدى أكثر من ألف ساعة أسبوعيا.[٣]

ويعتمد الصهيونيون اعتمادا كبيرا على وسائل الإعلام ويرون في الدعاية الصاخبة المدوية مفاعلا أبلغ تأثيرا وأقوى نفاذا، يقول هرتزل في مذكراته: "الضجة هي كل شيء، والحق أن الضجيج يؤدي إلى الأعمال الكبيرة". وذلك لأنها تستلفت الأنظار وتعبئ الأنصار، وتضعف الأعداد، وتنقل المعركة إلى جو عالمي تتوفر لها فيه مزايا ماضية حاسمة".[٤]

وفي بروتوكولات حكماء صهيون: "يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأمميين "غير اليهود" بما يقال "الرأي العام" متوسلين بأعظم القوى جميعا وهي الصحافة، وإنها جميعا لفي أيدينا إلا القليل الذي لا نفوذ له، ولا قيمة يعتد بها".

---

[١] الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مقال الدكتور علي عبد الحليم محمود، ص: ١١٩.

[٢] أساليب الغزو الفكري، ص: ٦٣.

[٣] الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية، ص: ١٨.

[٤] أساليب الغزو الفكري، ص: ١٦٤.

وفيها أيضا: "الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين، ولهذا السبب ستشترى حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات". [١]

ومن مخططاتهم السيطرة على وكالات الأنباء، يقول البروتوكول الثاني عشر: "ولن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا، وهذا ما وصلنا إليه في الوقت الحاضر كما هو".[٢]

وسيطر اليهود على وسائل الإعلام الأخرى: الإذاعة، والسينما، والمسرح، والملاهي، ليؤمنوا من خلالها عملية تدمير أخلاق الشعب وإخراجه من دينه، وتحويله إلى قطيع أعمى يخدم اليهودية العالمية والصهيونية".[٣]

٤ – المرأة: أحكم قادة الغزو سياسة الغزو الخلقي والسلوكي للشعوب الإسلامية عن طريق الكوافر العواهر، وتدفق سيلهن إلى معظم البلاد الإسلامية بأسماء وصفات شتى، علمية وفنية، وتجارية وصناعية، وامتزجن بالأسر الإسلامية وسهلن سبل الفاحشة للمراهقين في أعمارهم أو في عقولهم، وعملت أجهزة الغازين على أن تدهن الفواحش الصريحة الوقحة بطلاءات فنية متعددة.[٤]

يقول البروتوكول: "كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات".[٥]

ثم إن التبشير قد أولى عناية بالغة بعنصر النساء في مجال الغزو الفكري، فكان من قرارات مؤتمر المبشرين في لكنؤ ١٩١١م: "دخول النساء في أعمال التبشير لتصير النساء المسلمات وأولادهن".[٦] وقالت ولسون (المبشرة): "إن النساء المبشرات

---

[١] الغزو الفكري: أهدافه ووسائله، للشيخ عبد الصبور مرزوق، ص: ١٠٣.

[٢] أيضا.

[٣] المرجع السابق، ص: ١٠٥.

[٤] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص: ٤١١.

[٥] الغزو الفكري للعالم الإسلامي، للدكتور ناصر عبد الكريم العقل، ص: ١١٢.

[٦] أساليب الغزو الفكري، ص: ٣٤.

يستعن في الهند بالمدارس وبالعيادات الطبية وزيارة قرى الفلاحين لينشرن النصرانية بين طبقات الناس".[١]

٥ - إفساد أخلاق المسلم والمسلمة: إن رجال الغزو الفكري اهتموا بالإفساد الخلقي والسلوكي، ولذلك اكتشفوا طريقتين كما قال الدكتور محمد بن ناصر الشثري: "الطريقة الأولى: العبث بالمفاهيم الخلقية وتشويهها بالنظرات الجنسية والرخيصة، والطريقة الثانية: عن طريق الفنون والآداب والإعلام".[٢]

ويقول الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة: "وجه الغزاة أثقال خططهم وأعمالهم لإفساد الأجيال الناشئة من بنين وبنات، باعتبارها صحائف بيضاء لها قابلية التأثير، وباعتبارها هي التي تكون الأمة في المستقبل، وهي تقود أجيالها القادمة، أما الكبار الذين جفت قابلياتهم للتأثير فقد رأى الغزاة مداراتهم، وإفساد من يمكن إفساده منهم، وعزلهم عن مراكز توجيه الأجيال الناشئة، وانتظار تصفية الزمن لهم".[٣]

ثم لم يكن يخفى على الغزاة وأذيالهم أمر المرأة ودورها في الهدم والتدمير لذلك أولوها اهتمامهم الزائد وعنايتهم البالغة وبحت حناجرهم وهم ينادون بتحريرها واسودت صحفهم وهم يطالبون بحقوقها، وكأن الديانات ماجاءت إلا لترشد الناس إلى ظلم المرأة وهضم حقوقها، وجاؤوا هم ليعرفوا عنها هذا الحيف الذي عانت منه أجيالا أطوالا.[٤]

يقول البروتوكول: "علينا أن نكسب المرأة، ففي أي يوم مدت إلينا يدها ربحنا القضية".[٥]

---

[١] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص: ٦٣.
[٢] الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية، ص: ٢٢.
[٣] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص: ٤٣١.
[٤] الغزو الفكري للشيخ ممدوح فخري، ص:٢٧.
[٥] الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص: ٢٣٦.

وفي بروتوكولاتهم قولهم: "إن الشباب قد انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين والنساء اللاتي تعملن في أماكن اللهو".[١]

أثر الغزو الفكري على الأمة الإسلامية: هذه حقيقة لا مرارة فيها أن الغزو الفكري قد وطد النفوذ على الأمة الإسلامية نفوذا سيئا، فقد حول المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وروّج بينهم فواحش مختلفة ومثالب كثيرة، وقد تجلت أماراته في كل المجالات، في العلم، والأدب، والثقافة، والحضارة، والعقيدة، والسياسة، والاقتصاد، والتعليم إلى غير ذلك كثير من الميادين، وقد ظفر أعداء الإسلام وتغلبوا على المسلمين في هذا الغزو كما صرح به أحد أكابرهم: "لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ..... إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد".[٢]

ويقول البروتوكول التاسع: "ولقد خدعنا الجيل الناشيء من الأميين وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينها زيفها".[٣]

وقد ظهرت آثار هذا الغزو على أفكار المسلمين ونظرياتهم شرقا وغربا، يقول الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة: "تأثر كثيرمن الذين درسوا في الجامعات الغربية من أبناء المسلمين بدراسات المستشرقين، وانخدعوا بأساليبهم، وأخذوا يرددون شبهاتهم، ويروجون لها بين المسلمين، ويعتبرونها حقائق علمية مسلما بها".[٤]

ولاحظ كيف ترتبت آثاره على الأدب: "في عام ١٩٠٠م، أخرج قاسم أمين كتابيه "تحرير المرأة" و "المرأة الجديدة" ثم نشر سلامه موسى كتابه: "اليوم والغد" دعا فيه إلى

---

[١] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص: ٤٣٨.

[٢] الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: ٢٧.

[٣] الوحدة الإسلامية ووسائل تحقيقها للدكتور أحمد بن سعد الغامدي، ص: ١٢٨.

[٤] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص: ١٥٣.

ترك الإسلام واللغة العربية صراحة، وكتب طه حسين كتابه "الشعر الجاهلي" عام ١٩٢٦م، طعن فيه بصحة بعض القصص التي وردت في القرآن وزعم أن القرآن نتاج بشرى، وكتب الشيخ علي عبد الرزاق كتابه "الإسلام وأصول الحكم" عام ١٩٢٥م، زعم فيه أن الإسلام لا صلة له بالدولة، وكتب الشيخ محمود أبوريه كتابه "أضواء على السنة المحمدية" طعن فيه بالسنة النبوية وحجيتها طعنا مكشوفا .....". [١]

ويقول الشيخ محمد قطب: "....... صار أولئك الأدباء والمفكرون "العلمانيون" هم قادة الفكر، وعمداء الأدب وأساتذة الجيل، فجروا الأمة كلها وراءهم إلى الفكر الغربي على أنه "مهبط الوحي، وزاد الحياة". [٢]

الخاتمة: لا غرو أن الغزو الفكري بأساليبه الماكرة ووسائله الخادعة قد ألحق ضرراً بالغاً بروح الإسلام وقلبه، ولولا أن الإسلام حق بذاته، مؤيد بتاييد الله، يكاد هذا الغزو أن يزيل اسمه من وجه الأرض ويمحو آثاره من بين الناس، لكن الله تعالى تولى أن يرد كيد أعدائه في نحورهم ويقلب عليهم مخططاتهم كما قال جل وعلا: {يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون}[٣] فالواجب على الأمة الإسلامية أن تكون على حذر من مكائدهم، وعلى المسلمين أن يشدوا مئزرهم في مواجهة هذا الغزو، وعلى علماء المسلمين أن يوقظوا روح الإسلام بين أتباعه، وعلى الناس أن يلتزموا بالأحكام الشرعية والقوانين الإلهية، ونؤمن بأن كيد العدو منقلب على أهله بإذن الله، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

---

[١] الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص: ٢٥.

[٢] واقعنا المعاصر، ص: ٣٠٤.

[٣] التوبة: ٣٢.